غيرها من البرجوازيات مقولات العقل والحرية والابداع ، ودون أي تحديد اجتماعي لمضمون أية مقولة .

لكن وليد مسعود ، بالاضافة الى ذلك ، فلسطيني . فماذا تعني فلسطينيته ، وهل ينمذج « وليد مسعود » فلسطيني الزمن الحاضر ، اي فلسطيني الواقع ؟

النمذجة الادبية لوضع اجتماعي ما ، او نمط انساني تعني اخذ الجوهري ، وان في حالته القصوى ، من الوضع او الشخصية الكلية الاجتماعية . فما الجوهرى في الشخصية الفلسطينية وما الذى يجعلها تختلف عن غيرها من الشخصيات العربية وغير العربية ؟ لنطرح عدة اسئلة : هل يتميز الفلسطيني بالغنى ؟قطعا لا ! فثمة اغنياء غير فلسطينيين . هل يتميز الفلسطيني بالثقافة ؟ ثمة مثقفون غير فلسطينيين وثمة فلسطينيون غير مثقفين ، وهل يتميز الفلسطيني بوسامته ؟ الفلسطيني كغيره . اذن ما الذى يميز الفلسطيني ؟ ماذا يعني منطوق الفلسطيني ؟ ونعني بالفلسطيني هنا الفلسطيني النموذجي لا الاستثنائي . ربما قلة لا تتفق معنا في ان الفلسطيني النموذجي هو « اللاجىء في المخيم » . فكلمة « لاجىء » تعني انه مطرود من بلده ،« وكلمة مخيم » تعني انه يعيش عيشة غير انسانية ، والذين يعرفون المخيمات يعرفون فقرها ومشكلاتها . اما « اللاجىء » الفلسطيني الغني في الكويت والخليج فمثله مثل اي مهاجر سورى او لبناني يعمل في الخليج ، وهؤلاء هم « فلسطينيو جبرا ابراهيم جبرا » . انهم ينمذجون « المثقف الغني الفحل » واخيرا ، فان هذا المثقف الغني الفحل « فلسطيني » ، وتلك صفة لا تغير من جوهره الاساسي » . ولمزيد من الايضاح ، لنعد الى المقارنة بين فلسطيني غسان كنفاني الذى يموت في الطريق الى الكويت بحثا عن عمل ، وبين الاعمال المزدهرة لفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا في الكويت نفسها كذلك .

تتساءل مريم ، احدى شخصيات « البحث عن وليد مسعود » قائلة : « هل تعتقد ان وليد مسعود فلسطينيا نموذجيا » (ص ٣٤٨) . ان سياق الشخصية ، وموقفها ضمن شبكة علاقات معينة ، بل وعلاقتها بباقي شخصيات الروايات السابقة ، هما الذان يقدمان الاجابة ؛ فالبحث عن وليد مسعود ارادت ان تقدم نموذجا شبه اسطوري للفلسطيني ، لكنها لم تنجح الا في تكرار نموذج جبرا ابراهيم جبرا الروائي المعروف في كل رواياته .

تعليق عام

تقدم روايات جبرا ابراهيم جبرا الاربع شبكة واحدة للعلاقات ونموذجا واحد للشخصية. وكما هو معروف ، فان شبكة العلاقات والشخصيات التي يتكون منها عالم روائي ما لا تقدم تفسير الكاتب للواقع ورؤيته له فقط ، بل انها ، في كثير من الحالات ، تعبر عن اختياره وموقفه بل وموقعه . وروايات جبرا ابراهيم جبرا ، بتقديمها صورة مجتزأة ومنحازة للواقع ، أى بتقديمها شبكة علاقات بينها وبين شبكة العلاقات الواقعية في المجتمع مسافات ، وكذلك بتقديمها شخصيات غير « نموذجية » بالنسبة لنمط الحياة العربي ككل . ان روايات جبرا انما تقدم بذلك صورة ناقصة ، امتلاكا معرفيا ناقصا ان لم نقل متحيزا للواقع ، ان هذا النقص في الامتلاك المعرفي ادى الى قصور في الامتلاك الجمالي ، بل كان اساسا لضعف التملك